

أضواء البيان

. @ 381 @ .

وقد قدمنا هذا في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى { أَتَى أَمْرٌ اللَّاهِ } . . .
فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ }
الظاهر فيه ، أن إذ ، بدل من يوم ، وعليه فهو من قبيل المفعول به ، لا المفعول فيه ،
كما بينا آنفاً . . .
والقلوب : جمع قلب وهو معروف . . .
ولدى : ظرف بمعنى عند . . .
والحناجر : جمع حنجرة وهي معروفة . . .
ومعنى كون القلوب لدى الحناجر ، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان . . .
أحدهما : ما قاله قتادة وغيره ، من أن قلوبهم يومئذ ، ترتفع من أماكنها في الصدور ،
حتى تلتصق بالحلق ، فتكون لدى الحناجر ، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ، ولا هي ترجع
إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا . وهذا القول هو ظاهر القرآن . . .
والوجه الثاني : هو أن المراد بكون القلوب ، لدى الحناجر ، بيان شدة الهول ، وفضاعة
الأمر ، وعليه فالآية كقوله تعالى : { وَإِذْ زَاغَتِ السُّمُومُ وَأَنْجَبَتِ الرَّسْمُومُ }
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطُنَّونَ بِاللَّاهِ الطُّنُونُ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا } وهو زلزال خوف وفتح لا زلزال حركة
الأرض . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { كَاطْمِينَ } معناه مكرويين ممتلئين خوفاً وغماً
وحزناً . . .
والكظم : تردد الخوف والغيط والحزن في القلب حتى يمتلئ منه ، ويضيق به . . .
والعرب تقول : كظمت السقاء إذا ملأته ماء ، وشدته عليه . . .
وقول بعضهم كاطمين ، أي ساكتين ، لا ينافي ما ذكرنا ، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم
يمنعهم من الكلام ، فلا يقدرين عليه ، ومن إطلاق الكظم على السكوت